

# معجم المعاني القرائية للألفاظ

## —مقدمة تأصيلية—

أ/ محمد مغربي كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر "1"

معجم المعاني القرائية للألفاظ، هو مقدمة تأصيلية تجديدية في منهج الوجوه والنظائر القرائية. إذ يعرض فكرة إنشاء قاموس نقديّ يستوحي مضامينه النظرية من منهج التفسير القرائيّ للقرآن بتتبع موارد مألوف الاستعمال لكلمات القرآن وأسلوبه الجاري في الخطاب.

وهو في ذلك يحاول تهذيب تراث مصنفات الوجوه والنظائر بردّ الجزئيات إلى الكليات، والمتشابهات إلى المحكمات، والتنبيه على مجال النقد والتنقيد وطرائق الترجيح لمعاني الألفاظ ليخلص إلى إحكام المعاني الدالة على مراد خطاب الألفاظ.

وإن منهج الوجوه والنظائر يمثّل ركيزة أساس وعمود بناءً للنظرية التطبيقية لموضوعات التفسير ومفردات القرآن. إذ إنه ينحو إلى اتخاذ قواعد مرجحة لتأسيس المعاني ونقدها، وهو في ذلك لا يعدو في جملته أن يعكس المعاني القرائية المتكررة بتكرار موارد الألفاظ والمفردات وتقليب النظر في مواضع معاني الكلمات. وأحسن محامله من حيث الاعتبار هو اتحاد الصورة والوحدة الموضوعية للفظة القرائية وتحبير محاسن الاستنباط، بالإفصاح عن الانسجام في جمع المفترق وتقريب البعيد، وانتظام ذلك بأصول الاعتبار.

وأفقُّ هذا النموذج المقترح هو تحديد مهارات التحصيل لمناهج الدراسة في علوم التفسير، بالإبداع الحاصل في تطوير طرائقه ليكون عوناً ميسوراً للبحث في المعاني

القراءة للمفردات والتراكيب عن طريق تبويب ألفاظ القرآن بترتيب حروف الهجاء، والغوص في مضامين الكلمة القرائية من خلال الجمع بين أقوال محرري التفسير وبين بحوث أصحاب الوجوه والنظائر القرائية.

فهو معجم نقدي مهذب محكم في كلياته وجزئياته . يمتاز بتتبع وجوه المعاني القرائية - زمن التزول - من القرآن نفسه، ليكون بذلك طريقاً متبعاً كأصله في عصر الوحي إذ إنَّ القرآن الكريم نزل بلسان العرب وجرى على أسلوب كلامهم، ومبتغي هذا العنصر هو تسديد القول بمصدرية القرآن للثقافة الإسلامية معيناً وتقوياً.

وأمثلُ طريق في اتخاذ هذا الركن الأساس في تحقيق المعاني القرائية، هو وفرة الأقوال التفسيرية لدى علماء الصحابة والتابعين مع قلة اختلافهم في هذا العلم؛ حيث إن مصدرية القرآن التي استوحوا منها الفهوم والمقاصد، هي التي جعلت منهم الوقوف عند الآي متدبرين فحسُن استنباطهم وكمل رجحان عقولهم.

إنه طموح إلى تحقيق المعاني القرائية التي أَلفها المنهج القرائي في عرض أسلوبه ومقاصده، باعتبار القرآن المشكاة التي أصلت القواعد والفنون.

ولكي يتبين هذا العنصر الأساس في الانطلاق منه لتحرير الفكرة واقعياً عكفتُ على قراءة مصنفات الوجوه والنظائر فألفيتها حسنة التبويب والتقرير، بديعة الاستنباط، مع اختلاف يسير في منهج العرض. فالمعلوم أنَّ التسلسل التاريخي لهذه الكتب تتبعت الاستعمال القرائي للألفاظ وتداول المفسرون مصنفات هذا المنهج وانطبعت بذلك أذواقهم ومذاهبهم.

لكن الإخلال بقانون الوجوه والنظائر هو الذي عكر على القوم فاعتور أعلامهم أوهاماً لما في مسائل الموضوع من معانٍ مستنبطةٍ لم يأت بها نظمُ الخطاب ولا جرى

عليه عرف الاستعمال. وأعقب ذلك شهرة معاني المفردات تنازعها الكتاب ولما يصححوه، حتى أضحى عرفاً جارياً مستمراً، نحو كلمات: إلاء، الإثم، أثاثاً، الطوفان، التأويل، الصاعقة، حجاباً، الإذن... الخ.

قال الإمام محمد عبده [1323هـ]: (فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه فرماً استعمل بمعانٍ مختلفة كلفظ الهداية. ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه<sup>(1)</sup>). [هذا أصل متين في تأصيل المعاني عليه ونقد المصنفات وفاقاً لكلياته.

### أولاً: القيمة العلمية والفنية للوجوه والنظائر

تبرز القيمة العلمية في هذه الدراسة بإثراء موضوع الدلالة، كمسألة اللفظ المشترك أو الاشتراك اللفظي واللفظ الجامع وفحوى الخطاب وقانون التأويل الأصولي.

وبيان أثر صناعة الدلالة على اختلاف الفقهاء في توجيه الأحكام الشرعية كاختلافهم في ألفاظ "قروء" "طعام مساكين" "نجس"، "لا يمسسه إلا المطهرون" "بالسوق والأعناق" "إذا انسلخ الأشهر الحرم"... الخ في آيات غير معدودات ومنها ما هو معلوم في معرض ما يُعرف بآيات الأحكام.

كذلك الوقوف على دقائق الطريقة التفسيرية لدى الصحابة وآثارها - في مراتب المعاني ودلالة الألفاظ - على أنواع المسميات للاسم الواحد أو اللفظ الواحد.

(1) تفسير المنار: (1/ 20) محمد رشيد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب. [1990م].

قال الفراهي: "ومن أنفع شيء في هذا الباب معرفة تفسير الصحابة والتابعين فإنهم كثيراً ما فسروا كلمة بمرادفها حسب ما أريد في موضع خاص، وظن المتأخرون أنّهما متحداً متطابقان في جميع الوجوه فأخطأوا صحيح معنى الكلمة وهذا يقع كثيراً في تفسير كلمة جامعة، فإنهم يفسرون بلفظ مرادف لها ببعض الوجوه<sup>(1)</sup>".

## ثانياً: تحديد مصطلح الوجوه والنظائر القرائية أ/ التعريف اللغوي

الوجوه في اللغة<sup>(2)</sup> من الوجّه معروف والجمع الوجّوه. وفي الأثر "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة"<sup>(3)</sup>.

وأما النظائر، فجمع نظيرة<sup>(4)</sup> وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال وفي حديث ابن مسعود لقد عرفتُ النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورةً من المفصل<sup>(5)</sup> يعني سورَ المفصل سميت نظائر لاشتباه بعضها ببعض في الطول...

(1) مفردات القراءان، عبد الحميد الفراهي، ص 104. تح: محمد أيوب أجمل الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م.

(2) لسان العرب لابن منظور: مادة وجه: 555-556.

(3) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف من حديث أبي الدرداء موقوفاً عليه، ولفظه: 'لا يفقه كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة' 187/7. تح: حبيب الرحمن الأعظمي. مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر. 1392هـ.

(4) لسان العرب: مادة نظر، 219/5.

(5) الأثر أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: 775. 1/252.

## ب/ التعريف الاصطلاحي

الوجوه: المعاني المختلفة للفظة القرآنية في مواضعها من القرآن<sup>(1)</sup>.

- وأما النظائر، فهي "المواضع القرآنية المتعددة للوجه الواحد المتفق فيها معنى اللفظ"<sup>(2)</sup>

فالوجوه استعمال للفظ في مواضع متنوعة وهو المراد بالاشتراك اللفظي، والنظائر اشتباه الألفاظ معنى أي مُسَمَّى وهي ظاهرة التغير مبنًى. بيد أن المنهج العلمي يقتضي الإيضاح والتدقيق في الموضوعات والتعريفات، وجميع المصطلحات تعبّر عنها محدداتها، ولذلك أرى أن يُقدّم مصطلح واضح لكلمتي الوجوه والنظائر في التعبير به ضمن أصول التفسير ومناهج المفسرين.

انتهيتُ إلى اختيار هذا التعريف، انطلاقاً من استقراء كتابات الباحثين وصناعتهم وقواعدهم في التفسير.

فأما الاستقراء فإني تتبعْتُ غير واحد من متقدّمي الشأن في تحرير الموضوع كـمقاتل بن سليمان [150هـ] والمبرد [286هـ] وابن قتيبة [276هـ]. ومن المتأخرين كابن الجوزي [597هـ] والسمين الحلبي [756هـ] والفيروزآبادي [817هـ] والسيوطي [911هـ]، فألفيتهم يوردون للمفردة القرآنية أوجهاً متعددة من المعاني ويحملونه على معنى الوجوه<sup>(3)</sup>.

(1) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد مسلم آل طيار: ص94. دار ابن الجوزي.

(2) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص94 فما فوق.

(3) انظر:

- نقولات السيوطي في الإتقان: من ذلك هذه المفردات: الهدى، السوء، الصلاة، الرحمة، الفتنة، ص347/349، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط1، 2003م.

- تحصيل نظائر القرآن: الحكيم الترمذي، ص19.

وأما صناعة التأليف فإن تاريخ الكتابة في هذا الشأن-علم الوجوه والنظائر- مطبق على التساوي في إرادة معنى واحد متفق عليه لكلا اللفظين "الوجوه والنظائر"، وهذا كالذي قبله وهو الاستقراء.

وأما قواعد المفسرين فإن علماء التفسير يعتمدون تعدد المعاني للفظ الواحد ويعتبرون به إلا ما ردّه السياق أو دلالة من نص قيدت أحد المعاني وهذا من أهم قواعد التفسير. ثم إن أكثر الباحثين المعاصرين<sup>(1)</sup> قد انضمت كلمتهم بعد التحرير إلى هذا الصنيع ولم يحملهم على ذلك سوى قاعدة الاستقراء والدلالة العرفية التي مأخذها معهود لسان العرب.

### ثالثاً: تحديد لقبى لمصطلح معجم المعاني القرائية

معجم المعاني القرائية للألفاظ هو: "البحث في المفردات من حيث دلالتها على وجوه معانيها المحتملة في النظم القرائي ومعرفة كيفية الترجيح بينها، وتصنيف مجموعها بترتيب حروف المعجم".

أما البحث في الأفراد، فلأن الألفاظ هي مبتدأ التراكيب ومنتهى الأساليب من حيث جريان الصيغة والأسلوب على قدر استعمالها بأفصح الكلمات وأبلغها، ومن ثم تنوعت الأذواق عند سماع الألفاظ المختلفة في الموضوع الواحد فضلاً عن رونق الأسلوب وبديع الجمل وبلاغتها. فلا غرو أن فهم الكلام مفتاح خطواته، معرفة

-تحقيقات الدكتور كاظم الراضي على نزهة الأعين النواضر لابن الجوزي: ص38، مؤسسة الرسالة، ط3، 1987 وقد نقل كتابات عن الأصمعي.

(1) انظر:- مقدمة محقق نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي، الدكتور: كاظم الراضي، ص46-47.

- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد مسلم الطيار، دار ابن الجوزي: ص94.-

- مقدمة محقق الدماغاني "إصلاح الوجوه والنظائر" للدكتورة فاطمة الخيمي، ص20/19.

- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، د: سليمان القرعاوي "مجلة البحوث الإسلامية" الرياض، ص170. ع27. جمادى 1 و2/1410هـ..

اللفظ المفرد، "وبعض الجهل بالجزء يُفضي إلى زيادة جهل بالجموع، وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سدّ جميع أبوابه"<sup>(1)</sup>.

وللتنبية فإن الخطورة أفضح إذا حمل اللفظ على غير مراده كما حدث في تاريخ الفرق ومناظراتها، ومنها قصة الخوارج الذين أصلوا لمقالاتهم من خلال الفهم الخاطئة. ولربما " ترى الخطأ في معنى كلمة يصرف عن تأويل السورة بأسرها، فيتوجه المرء إلى سمت كلما مر فيه بُعد عن الفهم، وهكذا ترى الخطأ في حدّ كلمة أنشأ مذهباً باطلاً وأصل به قولاً عظيماً وجعل الملة بدداً"<sup>(2)</sup>.

وههنا ملحظ مهم وهو عدم الاقتصار في معرفة معاني المفردات على قواميس اللغة وإنما يلزم النظر في الاستعمال العربي الأصيل المشهور، وجريان استعماله في مألوف الخطاب القرآني لأن مأخذ المعاني هو القراءان نفسه، لجريانه على لسان العرب قال تعالى: ﴿ **يَلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ [الشعراء- (195)].

لهذا المقصود الأعظم، قيّدت المفهوم بتقييد المعاني المحتملة في النظم القرآني لمراعاة مألوف استعمال القراء وهو ما يعبر عنه بالوجوه والنظائر مع تحري الترجيح إذا ظهر تعارض، محاولاً في ذلك وضع معجم نقدي متين مرتباً على حروف الهجاء منضبطاً بهذه القاعدة العظيمة الذي سبق الإشارة إليها بالفكرة هي " أن يقف دارس القراء على معاني ألفاظه عند العرب حين أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، فكثيراً ما تتغير قيم الألفاظ وإن لم تتغير معانيها أساساً، ونحن أحوج ما نكون إلى معرفة القيم التي كانت لكل لفظ من ألفاظ القراءان حين نزوله "فلا بدّ للباحث

(1) مقدمة كتاب مفردات القراءان، للفراهي، ص50. تح: د/محمد أجمأ أبوب الإصلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ط1، 2002م.

(2) المرجع السابق: ص51.

في كتاب الله تعالى ليكون بحثه علمياً دقيقاً من أن يقف على القيم الدقيقة لهذه الألفاظ حين نزولها حتى يبلغ الغاية من الدقة المرجوة<sup>(1)</sup>.

وأما قيد التصنيف بترتيب حروف الهجاء، لإنشاء ما يعرف بالقاموس إذا اعتبرنا بحث معاني الأفراد والألفاظ، لأن طلبها من مواضعها سهل ويسير، يحيل على جذر الكلمة ومعرفة وضعها ومبتدأ بحثها، فيكون بذلك تصور شامل لمعجم أنواع المفردات واشتقاقها ومعانيها في التزليل وترجيح حدودها بين مراجع علم الوجوه والنظائر وبين التفاسير.

وقد بان لي بهذا التقرير فوائد:

1- حصر جهود السابقين في تحديد دلالة المصطلحات القرآنية ومحاولة استيعابها.

2- بيان مساهمة المؤلفين ومناهجهم في ضبط الدلالة الإصطلاحية للألفاظ القرآنية عند التعليل والتحليل.

3- تمهيد الطريق للدراسة المصطلحية لمفاهيم الألفاظ القرآنية إحصائياً لقواعد التفسير. فلو مثلنا بحرف الهمزة أو الألف لأمكن الوقوف على كثير من الأضرب التي إحصاؤها غير مغفل -جريا على عرف المؤلفات في غريب القرآن نحو مفردات: اتخاذ، أثاثاً، الاستئناس، استقاموا،... الخ فجذر الكلمة الأولى أخذ، والثانية أثث، والثالثة أنس، والرابعة قام، فالثلاثة الأُول مطلبها من حرف الهمزة والأخيرة من حرف القاف. وهكذا يجري التصنيف في باقي المفردات أصلاً واشتقاقاً.

(1) نقلاً عن كلمة تصدير الأستاذ محمد حسين هيكل لكتاب معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ص54.

ونخلص من تحليل كل لفظ وتنقيد باحثها من السابقين إلى تحديد دقة المعنى ومراعاة ما يجب فيه، وبهذا تحصل ثروة علمية نافذة على علم التفسير وأصوله. والله المستعان.

فجوهر البحث ولّبه يغوص في عمق أصول التفسير، لأنه الأداة الفضلى والقاعدة العظمى فلا إحكام للمعاني قبل إحكام الأصول.

بل لوحظ هذا المنهج في صناعة المفسرين كالإمام الطبري [310هـ] فإنه ذكر في مقدّمة تفسيره فصلاً كاملاً عن الأدوات المعتمدة في بيان مراد الألفاظ ومعانيها فقال في جامعه: القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن<sup>(1)</sup>، ثم ناقش معين موارد المعاني وأصولها، والأمر كذلك عند القرطبي فمما أورد في جامعه: باب ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه وثواب من قرأ القرآن معرباً<sup>(2)</sup> فإنه نقد قضايا عديدة تتعلق بفحوى طلب المعاني الدقيقة، كردّ شبه الباطنية، وطلب المراد من أي الكتاب من شعر العرب الفصيح المشهور، والاستمسك بتفسير السنة، وعدم ترك الظاهر إلى المؤول دون إحكام موارد الغريب من المفردات... الخ.

فالفكرة مسطّرة هي أن يقف الدارس للقرآن المجيد على إدراك سليم لمعاني المفردات ونظم الكتاب محدّداً في ذلك أساليب التنقيد وقواعد الإحكام والترجيح.

والمقترح بعث مشروع علمي بإنشاء معجم نقدي في التأصيل لمعاني المفردات وتثبيت مراد الألفاظ، مختاراً في ذلك معجم حرف الهمزة كنموذج لصعوبة البحث

(1) تفسير الطبري: 73/1.

(2) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: 23/1-24. تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش. دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2- 1964م.

وعدم الاقتدار عليه تفرّداً؛ ولعلّ الدهر يأتي بالأفضل سعة وشرحاً واستيعاباً وإحكاماً.

ولا يزال البحث مقترحاً على أولي الاختصاص والخبرة لينشطوا في إنشاء مشروع علمي جماعي يمهّد طريق المهارات في تحصيل علوم الشريعة. والله ولي التوفيق.

### رابعاً: التسلسل التاريخي لمصنفات الوجوه والنظائر

1\* مقاتل بن سليمان: له كتاب "الأشباه والنظائر في القراءان المجيد"، طبع بتحقيق عبد الله محمود شحاتة<sup>(1)</sup>.

2\* الحسين بن واقد المروزي [129ه]: "وجوه القراءان"، ذكره الدكتور مساعد بن مسلم الطيار في كتابه التفسير اللغوي ولم أعثر على الكتاب.

3\* هارون بن موسى البصري [170ه]: "الوجوه والنظائر"، طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن.

4\* يحيى بن سلام [200ه]: "التصارييف"، حققته الدكتورة هند شلبي وقدمت له مقدمة في أهمية هذا الفن وتاريخه وحدّه والموازنة بين كتاب التصارييف وبين كتاب مقاتل السابق.

5\* الأصمعي [216ه]: "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه"، ذكره في كشف الظنون<sup>(2)</sup>، ونقل منه الدكتور كاظم الراضي في تحقيقه "نزهة الأعين النواظر في

(1) وأعيد طبع الكتاب طبعة جديدة منقحة بعنوان "الوجوه والنظائر في القراءان الكريم" تح: حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للتراث، دبي، ط1، 2006م.

(2) أوردته في كشف الظنون بعنوان "ما اتفق لفظه واختلف معناه" انظره: (2 / 1572). حاجي خليفة. مكتبة المثنى، بغداد. 1941م.

علم الوجوه والنظائر"، وذكر أن مرام كتاب الأصمعي هو إيراد جملة كثيرة من مفردات القرآن اشتركت في المعنى مع ألفاظ أخر مع ضرب الشواهد لإثبات الترادف في معنى واحد هو المقصود<sup>(1)</sup>... الخ

6\* أبو العميثل " [240هـ]: "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد"، وهو مخطوط بالمكتبة الظاهرية. ذكره صاحب كتاب الأعلام<sup>(2)</sup>.

7\* المبرد [286هـ]: "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" حققه الدكتور محمد رضوان الداية، وطبع بدار البشائر، دمشق، ط 1992/1م.

واقتنى في ذلك أثر الأصمعي من حيث المنهج فعول على المواد الشعرية عند العرب ومألوف استعمالهم وعرف كلامهم وبيانهم، قال في المقدمة "هذه حروف ألفناها من كتاب الله عز وجل، متفقة الألفاظ مختلفة المعاني متقاربة في القول مختلفة في الخبر على ما يوجد في كلام العرب، لأن من كلامهم اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين..<sup>(3)</sup> اه

8\* الحكيم الترمذي: محمد بن علي بن الحسن [255هـ]: "تحصيل نظائر القرآن"، حققه حسن نصر زيدان، طبع بمطبعة السعادة، 1970م.

10\* أحمد بن فارس [395هـ]: له كتاب الأفراد، نقل منه السيوطي في كتابه الإتيان. حققه الدكتور حاتم صالح الضامن، وطبع عام 2002م.

(1) مقدمة نزهة الأعين النواظر: ص38.

(2) ما اتفق لفظه واختلف معناه - خ " في الظاهرية (7936) 18 ورقة. الأعلام للزركلي: (4 / 85).

(3) "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" المبرد ص15.

وقد استعنت بالكتاب في دراستي واستفدت منه، وهو موجود بمكتبة الأسد الدولية بدمشق.

11\* أبو الهلال العسكري [400هـ]: تصحيح الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه محمد عثمان. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2007م.

12\* الثعالبي [429]: "الأشباه والنظائر"، حققه محمد المصري وطبع بمطبعة سعد الدين للطباعة والنشر، بيروت، ب تا.

13\* إسماعيل الحيري [430هـ]: "وجوه القراءان"، طبع في دمشق بتحقيق الدكتورة الخيمي عام 1996م.

14\* الحسين الدامغاني [478هـ]: "إصلاح الوجوه والنظائر" طبع بتحقيق الدكتورة الخيمي وحققه في طبعة أخرى عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين بيروت.

15\* ابن الجوزي [597هـ]: "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، طبع بتحقيق كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، 1985م.

17\* السمين الحلبي [756هـ]: "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"، حققه عبد السلام أحمد التونجي الحلبي، وطبع الكتاب بالجماهيرية الليبية، مكتب الإعلام والبحوث والنشر، ط1، 1995م.

18\* الفيروزآبادي [817هـ]: "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

19\* ابن العماد [887هـ]: "كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر"، طبع بتحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، مطبعة شباب الإسكندرية.

تناولت هذه المصنفات وجوه المعاني للمفردة القرآنية مع مراعاة الشواهد العربية ما أمكن ليكون بذلك المعجم العربي وافر التنقيح والتصحيح واعتوّز ذلك انتقادات بعضها لبعض، واستدراكات اضطر إليها المفسرون وأصحاب الوجوه والنظائر خاصة، لأن إقامة الحجة الواضحة في مثل هذا الصنيع العلمي الجليل من أوكد الواجبات في إحقاق الحق، لاسيما وأن رفع اللبس عن العلم وأهله وطالبه من لب العلم ورونقه وكمالته.

والوضوح العلمي في البحوث مشروع حضاري مقومّ في علوم اللسانيات. ولأجل هذا المبدأ وهو مراعاة الشواهد القرآنية والعربية، وردّ تفاوت كبير بين السابقين وبين اللاحقين في هذا الفن، لأن الاجتهاد في مظان حججه مجال واسع لا يلجّه إلا البصير الناقد بأساليب العرب وبيانها وعرف استعمالها لألفاظها، وأسلوب القرءان وأسرار إعجازه وجمالية التراكيب وآلة السياق والسباق والنظم العام مع قوة استحضار الآيات وأسباب التزول والتفسير المسند. فهذه جملة عوامل اتسعت لأهل الفن وأبانت مقدرتهم على هذا الصنيع الذي أضحى في العالم المعاصر مشروعاً علمياً لدى الباحثين، لاسيما المشتغلين بالمسألة المصطلحية.

### الخطوط العريضة للتأصيل المنهجي في الوجوه والنظائر

أردت بهذا العنصر بيان المنهج العلمي الذي يمكن أن يرسمه المعجم ليحقق مراده من إنجاز المعاني القرآنية للمفردات، فهو كالأصل للبناء، وهو لب الموضوع ومنتهاه، وغايته وسبيل هداة؛ ذلك أن مناهج المفسرين تعتمد قواعد منضبطة للسير على كليات محكمة غير مخلة بالمآل وبالمقصد العام وهو حسن التفسير والتأويل.

ثم إن منهج الوجوه والنظائر هو أحد أهم عناصر القواعد العلمية لعلم التفسير، فالأنسب ذكر أصول هذا المنهج وفق مسار علمي واضح.

ذلك، وإني قسمت القواعد بحسب موضوعها إلى ثلاث قواعد علمية: تأسيسية أولية، وقواعد ترجيحية، وقواعد نقدية. ووزعتها على هذا الفصل طبقاً لتقسيمات مباحثه ومفردات مسائله.

فأما القواعد العلمية التأسيسية الأولية، فهي كاسمها من كونها دالة على المعنى المباشر للمفردة القرآنية، وهي كليات لا يدخلها الشك في الدلالة على المراد لأنها متفق عليها بين المفسرين، وقد أحصيتها أربعة قواعد موجزة:

- تفسير القراء بنظيره من المواضع والاستعمال.
- تفسير القراء بما دل عليه الأثر.
- تفسير القرآن بالمعنى المشهور في لسان العرب وبأثبت الوجوه.
- الاعتبار بالمعاني الماثوثة في الخطاب.

وأما القواعد الترجيحية، فتلك التي يجنح إليها المفسرون النقاد المتقنون، معتمدين مسالك دقيقة غير مخلة بفحوى الخطاب ولا مآلات الترجيح. ومبلغ ذلك هو النظر والاجتهاد ما أمكن بين قواعد الترجيح عند المفسرين والأصوليين.

- من ذلك: - تفسير الألفاظ بقوة السياق ونظم الخطاب وعمود الكلام.
- الاعتبار بالحقيقة دون المجاز إلا إذا تقوى بقرينة دلت عليه.
- اعتماد الظاهر دون المؤول إلا إذا تقوى التأويل بما دل عليه.
- حمل المفردات على الوضع الشرعي إلا ما دل مقتضاه على الوضع العرفي أو اللغوي.

وأما القواعد النقدية فهي معالم دقيقة تبلغ أهميتها في إبطال التحريف، والمؤاخذه العلمية في اعتماد معنى محل شاذ منكر تأباه فصاحة العرب والاستعمال العربي الفح. من ذلك ما وقع للمستشرقين من معان ألحقت بالتفسير وليس منها في شيء،

وهو منها براء. ومنها اهتمام كثير من أصحاب المنهج الإشاري بحملهم المفردات معاني لا تتوافق ونظم الخطاب، فأوقعوا الكلام في ملغز.

ومنه، جنوح بعض المفسرين إلى اعتماد التأويل على غير ما حُكّم عند الأصوليين وجمهور المفسرين فوقعوا في معنى باطني لا يتوافق والمعاني الأصلية ولا الاستعمالية في معهود خطاب العرب، ولاتواطأ عليها العرف السائر. فالظن بحسن الصناعة أن تُردّ الأقوال إلى مناهج المفسرين القائمة على النقد والتمحيص، وتثبت الحاجز بين التأويل الصحيح وبين تحريف الكلم عن مواضعه. وبالله التوفيق.

وإني حاولت بيان هذه القواعد النقدية في هذه المعالم:

- إبطال المعاني الباطنية غير المؤسسة على أصل متين.

- ترك المعنى الشاذ.

- ترك الروايات الإسرائيلية والمنكرة. والله أعلم.

## خامساً: عرض نموذج لفكرة المعجم

### 1- لفظ "أب"

هو على ثلاثة أوجه<sup>(1)</sup>، فوجه منه الوالد بعينه، ووجه ثانٍ هو الأب الأعلى أي الجد، ووجه ثالث هو العم.

فأما الأول: قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسِدَّ﴾، وفي

القصص ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

(1) إصلاح الوجوه والنظائر، الدماغاني: ص13، نزهة الأعين النواضر، ابن الجوزي: ص112. واقتصر إسماعيل الضرير الحيريّ النيسابوري على وجهين، انظر له وجوه القرآن الكريم، ص50. تح: فاطمة يوسف الخيمي. دار السقا. دمشق. ط1، 1996م.

والثاني: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِنزِهِمْ  
وَأِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهًا وَجَدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ قال ابن الجوزي: وإنما  
إسماعيل عم يعقوب.

والثالث: قوله تعالى في سورة الحج ﴿مَلَّةً أَيُّكُمْ إِزْرِهِمْ هُوَ سَمَنَكُمُ  
الْمُسْلِمِينَ﴾ وذكر ابن الجوزي<sup>(1)</sup> إطلاق الأب على الخالة كقوله تعالى:  
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة يوسف]، وضعف هذا القول لأن السياق  
يأباه في إرادة المعنى الظاهر ولا بد من حجة صحيحة تثبت الدعوى.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحاق — أي الأب  
والأم — لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في "أبوين"، إلا أن  
يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها،  
فيسلم حينئذ لها<sup>(2)</sup>. قال ابن كثير: وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه  
السياق<sup>(3)</sup>. فههنا مسألة في تصنيف المعجم، وهي تخلية مصنفات الوجوه والنظائر  
من المعاني التي لا تقوم لها حجة أو بينة قوية، لنخلص لك إلى حقائق علمية في  
التفسير والاستنباط، وتكوين قاموس علمي مصفى من الشوائب.

(1) نزهة الأعين النواضر، ابن الجوزي: ص 112

(2) تفسير الطبري: 16 / 267

(3) تفسير ابن كثير: (4 / 411)

## 2- الإثم:

ذكر الدامغاني<sup>(1)</sup> أن الإثم يرد على أربعة وجوه، وزاد عليه ابن الجوزي<sup>(2)</sup> وجهين تبعاً لهارون بن موسى، وأما الحيري<sup>(3)</sup> فأضاف السابع، وتلك هي: الشرك، المعصية، الذنب، الخطأ، الخمر. الغيب، الزنى.

الأول: الشرك وهو في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 63].

الثاني: المعصية، كقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال في البقرة: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فِي الْمِحَالَةِ﴾: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا قَعْلُونُ﴾ [الأعراف: 33].

قال الدامغاني<sup>(4)</sup> (يعني المعاصي ويقال الخمر) اهـ.

وقال ابن الجوزي<sup>(5)</sup>: (وأنتشداوا: شربتُ الإثم حتى ضل عقلي\*\*\* كذا الإثم يضل بالعقول ونقل عن ابن الأنباري أنه لا يصح إطلاق الإثم على الخمر عند

(1) إصلاح الوجوه والنظائر، ص16. هذا وأورد مقاتل بن سليمان خمسة وجوه، انظر الوجوه والنظائر له، ص135.

(2) نزهة الأعين النواضر، ص147.

(3) وجوه القراءان الكريم، الحيري، ص47.

(4) إصلاح الوجوه والنظائر: ص17.

(5) نزهة الأعين النواضر: ص149.

العرب) والظاهر في الاستعمال القرآني أنه غير وارد، لأن السياق يدل على هذا إذ ترتبت العقوبة على اقتراف الفاحشة وهي حقيقة في الزنا، فما الفائدة في إيراد لفظ الإثم لولا اعتبار الذنب والمعصية لأن الملاحظ في الفاحشة الإضرار بالنفس والغير، وفي الإثم الإضرار بالنفس، فكان المناسب التنبيه عليه والتحذير منه. ولذلك ورد عن السلف تفسير الإثم في الآية هذه بمعنى المعصية<sup>(1)</sup>، وتفسير المفردات بالمعاني التي وقف عليها السلف أولى<sup>(2)</sup> لجريائهم على فصاحة الكلام وبلاغة الخطاب وقرب عهدهم من الاستعمال العربي القديم الذي نزل القرآن يحاكي أساليبه، فلربما فسروا الكلمة بما يقرها ضمناً أو ما يعضدها إرادة أو ما يخدمها واقعاً كالمترادف ولو من وجه أو مجمل أو مناسبة وضع أو عرف جارٍ. والله أعلم.

فحريُّ بالباحث أن يقع على قراءة نقدية لمصنفات الوجوه والنظائر، ليلبغ بذلك تفسيراً مهذباً، ولتزخر المكتبة العلمية بمعجمات مهذبة ومنقحة لا يعتورها التقليد، ولا الأقوال الواهية والاستنباطات السقيمة. فالظن في مثل هذا الموضوع من تفسير وجوه مفردة الإثم أن يُجتنب معنى الخمر من وجوهها المذكورة لدى ابن الجوزي والدامغاني والله أعلم.

الثالث: الإثم الذنب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۖ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: 203]

(1) تفسير الطبري - (12 / 403).

(2) انظر مفردات الفراهي: ص 104. ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية.

الرابع: الزنى، فذلك في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 120] قال مقاتل: (يعني الزنى في السر والعلانية<sup>(1)</sup>).

الذي يظهر لي هو غير ذلك، لأن السياق والسباق واللحاق لا يقتضي ما ذهب إليه أصحاب الوجوه والنظائر، إذ قد تقدم أن عمود الخطاب هو النظم ودلائله، ولا بد من مراعاة قواعد التفسير. فتأويل الإثم في هذه الآية بالذنب عموماً أو الشرك خصوصاً هو أحسن مناسبة وأقوم وجهها وأدل على المراد.

دليل هذا الذي رأيته، هو أن الآية في معرض الكلام عن الشرك الذي من نوع الذبح لغير الله تعالى واجتناب أكله، وكان معظماً في الجاهلية، فسبق له الخطاب الذي ينهى عن اعتقاده ظاهراً وباطناً، وعلانية وسراً، إذ المجاملة فيه والمداهنة من قبائح التصرفات وقد قال تعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9]. فتحقيق البراء في مثل هذا الموضع أنسب وأقوم. على أن جريان جماهير المفسرين على الاعتداد بتفسير الإثم بالزنى لكونه مما يشتمله أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأنعام 151]. لكن السياق يأباه في تحقيق معنى المفردة القرآنية.

قال الطبري: (والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه. وذلك سره وعلانيته. والإثم كل ما عصي به الله منة محارمه. وقد يدخل في ذلك سر الزنى وعلانيته... غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك إلى الخصوص من غير برهان، كان توجيهه إلى أنه عني بظاهر الإثم

(1) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان: ص135. الوجوه والنظائر لهارون بن موسى: ص350.

وباطنه في هذا الموضوع، ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم، وما بين تحريمه في قوله: " حرمت عليكم الميتة" إلى آخر الآية، أولى إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى، وهذه سياقها. ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك وأدخل فيها الأمر باجتناّب كل ما جانسه من معاصي الله فخرج الأمر عاماً بالنهي عن كل ما ظهر أو بطن من الإثم<sup>(1)</sup> اهـ.

الخامس: الخطأ، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ البقرة: 172، مقاتل: (يعني عمداً أو خطأ<sup>(2)</sup>). وهو تحقيق الطبري لاقتضاء السياق ذلك في ردّ خطأ الموصي حين الاحتضار إذا هو حاف عن العدل، وهو قول ابن عباس<sup>(3)</sup>.

فتحصل بهذا التحرير رفع وجهين لمعنى الإثم غير معتبرين في الدلالة القرآنية لمواضع الفظة في نظم الخطاب. والله أعلم.

وثمة ألفاظ غير هذه ليست باليسيرة وجلّها موجود في مظانه من مصنفات الموضوع، وطائفة قليلة مضافة إلى المادة العلمية التي نقص إحصاؤها، هي جديدة بالدراسة والتتبع واستكمال الباب بكل جزئيات مسأله.

وإني أحصيتُ باب الهمزة فوجدت عدّة ألفاظها خمساً وأربعين مفردةً بين ما هو موجود وبين ما استحسنّت إضافته بعد الوقوف عليه عند المفسرين النقاد، نحو مفردة: الأء، أئاناً، أنس، أزر،.. الخ مع ضرورة التنبيه إلى وجوب تهذيب التراث في هذا الباب.

(1) تفسير الطبري: 75/12.

(2) الوجوه والنظائر: مقاتل بن سليمان: ص140. الوجوه والنظائر: هارون بن موسى: ص 350. إصلاح الوجوه والنظائر: الداغاني: ص17.

(3) تفسير الطبري: 403/3.

وأحسب أن الموضوع هامٌ جداً لذوي التخصص، يسهّل الصعوبات على الباحثين وينأى بهم عن العضلات التفسيرية في كتب القوم، ويأخذ بأيديهم نحو أمان النقد وتحقق المعاني السليمة.

وتبقى الفكرة مسطّرةً ليُتخذ منها انطلاق قويّ متين في التقعيد والتنظير والتبويب والترتيب لمفردات لموضوع المعجم ومنهجه في عرض مادته وعناصر بحثه. والله وليّ التوفيق.

